الحدس عند باسكال

م. م هبه عبد إبراهيم

hebaabd@uomustansiriyah.edu.iq

أولاً: مفهوم الحدس

أ) الحدس لغةٍ:

ان الدلالة اللغوية لمفهوم الحدس اخذت معاني مختلفة منها ان الحدس بفتح الحاء وسكون الدال المهملة تعني عند الفراهيدي - في كتابه العين – التوهم، ويدل الحدس عند غيره على الرمي، ومنه حدس الظن، انما هو رجم بالغيب. وغيرهما يشير به الى سرعة السير، وهو التخمين عند غير هؤلاء. ويعني به اخرين، النظر الخفي او الفراسة.

ويورد هذه المعاني للحدس الدكتور جميل صليبا في معجمه الفلسفي اذ يعبر عن ذلك بقوله: "الحدس في اللغة الظن، والتخمين، والتوهم في معاني الكلام والامور، والنظر الخفي والذهاب في الارض على غير هداية، والرمي، والسرعة في السير، والمضي على غير استقامة، او على غير طريقة مستمرة.

ب) الحدس اصطلاحاً:

الحدس (intuition) هو الادراك المباشر لموضوع التفكير، وله أثره في العمليات الذهنية المختلفة، فيلاحظ في الادراك الحسي، ويسمى بالحدس الحسي، من جهة ويكون اساساً للبرهنة والاستدلال، ويسمى حدساً عقلياً من جهة اخرى، فبالحدس ندرك حقائق التجربة، كما ندرك الحقائق العقلية. من ذلك يعد بأنه ضرب من المعرفة او الادراك المباشر. والحدس عند الفلاسفة المسلمين مأخوذ من معنى السرعة في السير وكذلك من معنى سرعة انتقال الذهن من المبادئ

إلى المطالب، والمقصود بالحركة وسرعة الانتقال تمثل المعنى في النفس دفعة واحدة، وفي وقت واحد، كأنه وحي مفاجئ أو وميض برق

ويذهب لا لاند في موسوعته الفلسفية إلى بيان أبرز معاني الحدس في تاريخ الفكر الفلسفي إلى انها "معرفة حقيقية بينه مهما تكن طبيعتها تستعمل مبدأ ومرتكزاً للاستدلال النظري تدور حول الأشياء وعلاقاتها. وانه نظرة مباشرة وفورية لموضوع فكري ماثل ألان إمام الفكر ومدرك في واقعه الفردي...، وانه كل معرفة تأتي دفعة، وبلا مفاهيم... ومعرفة فريدة منفردة بذاتها وضمان الحكم وسرعته ".

ثانيا: المعرفة الحدسية عند بليز باسكال (1623-1662م)

يميز بليز باسكال تمييزاً دقيقاً بين نمطين من أنماط المعرفة الإنسانية: المعرفة العقلية والمعرفة الحدسية الوجدانية، وهو تمييز لا يُختزل في الفروق المنهجية فحسب، بل ينطوي على تصور أنطولوجي ومعرفي مزدوج لطبيعة الإدراك البشري. فالمعرفة العقلية، وفقاً لباسكال، تستند إلى منهج التحليل والتركيب، وتتوسل أدوات المنطق والجبر والهندسة، وتسعى إلى التأسيس البرهاني للمبادئ عبر تسلسل استدلالي دقيق، وهي بذلك معرفة متدرجة، تتطلب التأني والتعقل، وتعجز في كثير من الأحيان عن بلوغ الموضوعات البسيطة أو الأولية التي لا تقبل التجزئة.

في مقابل ذلك، تتجلى المعرفة الحدسية(intuition) ، أو ما يسميه باسكال بـ"معرفة القلب"، بوصفها نمطاً من الإدراك المباشر، لا يقوم على الاستدلال بل على العيان والوجدان، أي على تلك القدرة الطبيعية التي يمتلكها الإنسان على إدراك حقائق معينة إدراكاً مباشراً لا يحتاج إلى وسيط برهاني. إنها معرفة فطرية، تشبه الإشراق الداخلي، وتتكشف بها المبادئ الأولى التي لا يستطيع العقل الهندسي أن يبرهنها، لكنها مع ذلك تشكل أساساً لكل معرفة لاحقة. وهذا ما يدفع باسكال إلى القول: "نحن نعرف الحقيقة ليس فقط بواسطة العقل، بل أيضاً بواسطة القلب."

وبهذا المعنى، يميز باسكال بين نمطين من الحكم: الحكم العقلاني المبني على المبادئ المنطقية، والحكم الشعوري القائم على الحدس الغريزي. فالفئة الأولى، أي أولئك الذين اعتادوا الحكم بواسطة الاستدلال، يعجزون عن إدراك المسائل التي لا تُكتسب إلا عن طريق الشعور، لأنهم يبحثون عن براهين حيث لا براهين ممكنة. أما الفئة الثانية، أي الذين يحكمون بواسطة الشعور، فهم يدركون الحقيقة في ومضة، دون حاجة إلى استدلال طويل. وهنا يبرز نقد باسكال للعقلانية الهندسية الصارمة، إذ يرى أن الاعتماد الحصري على العقل يقود إلى الضياع، لأن العقل، لطبيعته الجزئية، يفتقر إلى القدرة على الإحاطة الكلية.

ويرى باسكال أن العقل والحدس ليسا ضدين، بل قوتان متكاملتان في الذات البشرية: فالعقل يعمل وفق مبادئ، لكنه بطيء ومتعدد، بينما الحدس حاضر أبداً، ويعمل في لحظة واحدة، بقوة نافذة. ومن هذا المنطلق، يذهب باسكال إلى أن الحدس القلبي يتفوق على العقل، لا لأنه يلغي وظيفة البرهان، بل لأنه يفتح أفقاً لمعرفة تتجاوز ما يمكن للعقل الهندسي إدراكه.

إن ما يؤسس له باسكال في هذا السياق هو نوع من العقل الحدسي، عقل متعالٍ لا يمكن الإحاطة بمبادئه إلا بالعودة إلى خصائص "الذات الشاعرة"، لا إلى خصائص الموجود في ذاته. وهذا العقل لا يتجه نحو التجريدات الرياضية فحسب، بل يسعى إلى إدراك "الحقائق الوجودية"، كوجود الله، واللانهاية، والزمان، والمكان، وهي مفاهيم لا يبلغها العقل الاستدلالي بل تُدرك عبر الحدس الفطري الذي جبلت عليه طبيعتنا.

ومن المفارقة التي يؤكدها باسكال أن القلب، الذي كثيراً ما يُنظر إليه كمصدر للعاطفة والانفعال، هو في حقيقة الأمر مصدر أصيل للمعرفة، لأنه يمدنا بتلك المبادئ الأولى التي تقوم عليها العلوم ذاتها، ومنها مفاهيم الحركة والعدد والامتداد. وهذا ما يدفعه إلى الجزم بأننا لا نستطيع اختزال الحقيقة إلى ما يُبرهن عليه منطقياً، كما لا يجوز أن نطالب الحدس القلبي ببراهين عقلية لإثبات صحته. فمثلما يدرك العقل أن للعالم أبعاداً ثلاثة، يدرك القلب أن لله وجوداً، وهو إدراك لا يقل وضوحاً عن الإدراك الهندسي.

إن باسكال، في نهاية المطاف، لا يلغي دور العقل، لكنه يعيد توجيه أنظارنا إلى حدود العقل، والى ضرورة تجاوزه عبر الحدس القلبي الذي يفضي إلى إدراك وجود إلهٍ لا يُستدل عليه فقط بل يُستشعر حضورُه حضوراً مباشراً. ومن هنا، فإن باسكال يبدأ بالقلب، لينتهي إلى الله، في حركة فكرية تكشف عن علامة من علامات العقل الأسمى، ذلك العقل الذي يتجاوز ذاته بالحدس.